

د. خير الدين فنطازي

مخبر الدراسات القانونية البيئية

كلية الحقوق و العلوم السياسية -

جامعة 8 ماي 1945 - قالمة

عنوان المداخلة

تأثير كوفيد 19 على التجارة الإلكترونية

مقدمة:

لقد كان لفيروس كورونا المستجد (كوفيد-19) انعكاسات هامة على الإقتصاد العالمي عموماً، وعلى الإقتصاد الوطني خصوصاً شأنه شأن وضعية كل دول العالم، وعلى السوق التجارية حيث أدت خطورة الفيروس إلى تغيير أساليب الحياة المعيشية للأفراد عبر سائر المعمورة، إذ برزت أساليب جديدة للتعاملات التجارية في العالم، بكثرة الإقبال على التجارة الإلكترونية، مما جعلنا نسعى للبحث في تفاصيل الظاهرة من خلال هذه الدراسة بتسليط الضوء على جوانب التأثير الذي أحدثه كوفيد-19 على نشاط التجارة الإلكترونية في جوانبه الإيجابية والسلبية على حد سواء، لنطرح الإشكال التالي: **ماهي التأثيرات الإيجابية والسلبية لكوفيد-19 على التجارة الإلكترونية؟**

وللإجابة عن هذا التساؤل الهام والجوهري سنتطرق إلى مبحثين أساسيين، نستهلهما بالتأثيرات الإيجابية لفيروس كورونا على التجارة الإلكترونية (المبحث الأول)، ثم نتناول التأثيرات السلبية لفيروس كورونا على التجارة الإلكترونية (المبحث الثاني)

المبحث الأول

التأثيرات الإيجابية لفيروس كورونا على التجارة الإلكترونية

إنه ومع تزايد حدة إنتشار الفيروس المستجد كوفيد-19 في العالم، إزداد الإهتمام بالتسويق عبر الأنترنت وبالتجارة الإلكترونية بشكل ملحوظ، إذ مع تطور الهواتف الذكية والإزداد الكبير لعدد المستخدمين للشبكات الإجتماعية ومع إزداد سرعة الإنترنت، أصبحت التجارة الإلكترونية والتسويق عبر الإنترنت هاجسا حقيقيا لدى الأفراد وحتى الشركات، وهو وضعاً يصعب إنكاره أو تجاهله.

حيث شهد عام 2020م إنتشار التقنيات الحديثة المساعدة للتسويق الإلكتروني، إذ أصبح ما يقارب 80 بالمائة من الأسر تتصفح إعلانات البريد المباشر التي تتلقاها، وإزدادت الثقة لديهم في المواد التسويقية المنشورة عبر شبكات التواصل الإجتماعي أكثر من ذي قبل.

لذلك برزت العديد من مظاهر التأثير الإيجابي لهذا الفيروس على التجارة الإلكترونية نستعرضها في (المطلب الأول) ثم نستعرض مزايا التجارة الإلكترونية في ظل الجائحة (المطلب الثاني)

المطلب الأول

مظاهر التأثير الإيجابي لفيروس كورونا على التجارة الإلكترونية

تجلت أهم مظاهر التأثير الإيجابي في تغيير الطريقة التي كانت تجري بها المعاملات التجارية، إذ إستبدلت طريقة إجراء الطلبات بالهاتف والفاكس بطريقة الطلبات من خلال التواصل بالشبكة والتي أدت إلى توفير نصف مليار دولار وتخفيض معدلات الخطأ من 25 إلى 2 بالمائة، مما جعل شركات عالمية تتحول إلى نظام الطلبات عن طريق الشبكة¹.

لذلك كان أهم مظهر من مظاهر التأثير الإيجابي هو توفير أموال كبير وتحقيق أرباحا إضافية، وتستمر في نفس الوقت في التخلص من الإعلانات الورقية وإستبدالها بالإعلانات

¹ - Cathrine L. Mann Sue E. Eckert, Sarah Cleeland Knight, Global Electronic commerce : A policy Primer, institute for international economics, Washington, d.c. All Rights Reserved. 2002,P 10.

الإلكترونية مما وفر الكثير من الأموال، كما سهل إيجاد منتجات جديدة لم تكن متاحة من قبل كما وجدت أسواقا جديدة من حيث المساحة والمعلومات.

بل أصبحت الآن البنوك تعرض خدماتها المصرفية على مدار الساعة من خلال الشبكة الإلكترونية مباشرة وتقوم بالإعلان عبر الأنترنت، بل حتى المزادات في العالم أصبحت تطرح عبر الشبكة الإلكترونية مثل موقع (princeline) فيتم تحديد الأسعار التي يكون المشترون على إستعداد لدفعها مقابل منتجات معروضة إلكترونيا.

إن التحول الأساسي الذي فرضته جائحة كورونا اليوم أدى بتسريع نجاح الثورة الرقمية وإنتعاش التجارة الإلكترونية التي تقوم الآن بقلب النمط المعيشي للأفراد في العالم رأسا على عقب مع تحقيقها لنظرة جديدة في المجتمعات، ونفس هذه التغيرات التكنولوجية التي فرضتها الأزمة الصحية غيرت حاليا عالم الأعمال، وفرضت طابعا جديدا المعيشية للأفراد والشركات وحتى الحكومات بنمط العصرنة والرقمية.

المطلب الثاني

مزايا التجارة الإلكترونية في ظل الجائحة

يمكن تلخيص المزايا المحققة للتجارة الإلكترونية من جراء الأزمة الصحية التي فرضها الوباء إلى مزايا تعود على الشركات، ومزايا تعود على المستهلكين، وأخرى تعود على المجتمع نوضحها فيما يلي:

أولا: مزايا تعود على الشركات:

أدت التجارة الإلكترونية إلى توسع السوق ووصوله إلى السوق المحلية وحتى الدولية، فلم يعد رأس المال يشكل عائقا إذ بقليل من رأس المال تستطيع الشركات جلب المزيد من العملاء وحتى الموردين.

كما أنه تعمل التجارة الإلكترونية على تقليل تكلفة وضع ومعالجة وتوزيع زاسترجاع المعلومات المكتوبة فمثلا بإدخال نظام التوريد الإلكتروني تستطيع الشركات أن تقلل من التكاليف الإدارية للشراء بقدر يصل 85 بالمائة¹.

كما سمحت التجارة الإلكترونية بتقليل المخزون والمصاريف الثابتة، ما قللت الوقت بين إنفاق رأس المال وإستيلام المنتجات والخدمات، مما يضيفي على العمليات صفة التنافسية إضافة إلى تقليل تكاليف الإتصالات.

ودون أن ننسى أهم مزايا التجارة الإلكترونية بالنسبة للشركات في ظل الجائحة وهي تحسين صورة المؤسسة وتحسين خدمة العملاء وتبسيط الإجراءات، وزيادة الإنتاجية والإستغناء على الورق وسرعة الوصول إلى المعلومات وخفض التكاليف.

ثانيا: مزايا تعود على المستهلكين:

لا يخفى على علم أحد أن الأزمة الوبائية العالمية، فرضت على الأفراد إجراءات وقائية صارمة للحد من إنتشار هذا الوباء، وأهم تلك الإجراءات هي فرض الحجر سواء الجزئي أو الكلي على حركة المواطنين مما صعب عليهم توفير حاجياتهم اليومية من مقتنيات وضرورات الحياة المعيشية.

لكن التجارة الإلكترونية سمحت للمستهلكين بإجراء معاملاتهم على مدار الساعة يوميا ومن أي مكان مع تقديم مزيد من الإختيارات، كما وفرت لهم منتجات وخدمات بأقل الأسعار عبر خدمة مقارنة الأسعار ومن أماكن عديدة ومختلفة، زيادة على خدمة التسليم السريع لاسيما المنتجات الرقمية².

¹ - توفيق محمد عبد المحسن: التسويق وتحديات التجارة الإلكترونية، دار الفكر العربي، مصر 2004، ص 469.

² - توفيق محمد عبد المحسن: مرجع سبق ذكره، ص 472.

كما أنها أتاحت للمستهلك المشاركة في المزادات العلنية الافتراضية، كما خلقت جوا من المنافسة من خلال عروض التجارة الإلكترونية، مما يؤدي إلى الحصول على أسعار مخفضة بالنسبة إلى العملاء.

ثالثا: مزايا تعود على المجتمع:

قامت التجارة الإلكترونية بتحفيز زيادة عدد الأفراد الذين يعملون في منازلهم، وقللت الحاجة إلى الخروج من أجل التسوق، مما ساهم في التقليل من عدد الغصابات بالوباء والحد من إنتشاره بل ساهم حتى في الحد من التلوث البيئي.

لقد أشبعت التجارة الإلكترونية رغبات المجتمع من خلال إنخفاض الأسعار وتمكين الأفراد من الإقتناء بكميات أوفر وأكبر مما يحسن لا محالة في المستوى المعيشي داخل المجتمع دون فوارق إذ رفعت مستوى المناطق الريفية وأخرجتها من عزلتها، من خلال وصول منتجات وخدمات لتلك المناطق لم تكن متاحة لهم من قبل، مثل فرص تعلم مهنة أو اللغات أو الحصول على شهادات جامعية أو مهنية.

دون أن ننسى كذلك أهم ميزة حققتها التجارة الإلكترونية للمجتمعات خاصة الفقيرة منها والمتوسطة وتتمثل في زيادة الدخل وتحسين التنمية، إذ أثبتت البحوث وجود علاقة إيجابية بين نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، وبين العدد الإجمالي للأفراد المستخدمين للحواسيب الآلية المضيفة للإنترنت، إذ كانوا هم أكثر وأفر حظ من البقية¹.

لذلك وكنتاج لهذه المقاربة فإنه يمكن القول بأن مؤشر التنمية في المجتمع يتزايد مع تغلغل الإنترنت وزيادة نشاط التجارة الإلكترونية.

المبحث الثاني

¹ - السيد أحمد عبد الخالق: التجارة الإلكترونية والعولمة، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، مصر، 2006، ص 183.

التأثيرات السلبية لفيروس كورونا على التجارة الإلكترونية

من التأثيرات السلبية لجائحة كورونا على التجارة الإلكترونية كثرة الإقبال على المعاملات الإلكترونية بشكل متزايد مما أدى في كثير من الأحيان إلى ظهور عيوب نتجت عن الإقبال المفرط على التجارة الإلكترونية.

ومن هذه المظاهر السلبية وقوع جرائم إلكترونية عديدة، وسعت من مخاطر المعاملات الإلكترونية لذلك سنوضح الجرائم الإلكترونية (المطلب الأول)، ثم المخاطر وسبل محاربتها (المطلب الثاني).

المطلب الأول

الجرائم الإلكترونية الناتجة عن التجارة الإلكترونية

يشهد عالم التجارة الإلكترونية العديد من الجرائم والتي تعتبر جرائم الأنترنت الأكثر شيوعاً من بين باقي الأنواع الأخرى، وهي جرائم لا تعرف الحدود ولا القوانين، وأداتها الأساسية هي الحاسب الآلي وشبكة الأنترنت، والعامل الأساسي في نجاحها هو تمكن مرتكبها منهما بشكل فائق والهدف الذي يتم رسده فيها هو عمليات الدفع الإلكتروني، ومن هذه الجرائم:

أولاً: إنتحال الشخصية:

إذ يستغل المجرم بيانات الأشخاص على شبكة الأنترنت كالعنوان وتاريخ الميلاد ورقم الضمان الإجتماعي أو رقم حساب من أجل الحصول على بطاقات إئتمان، حيث تستعمل تلك البيانات في التمكن من إستخراج بطاقات بنكية عبر الأنترنت والتملص من الإجراءات الصارمة لبعض الشبكات¹.

ثانياً: السطو على أرقام البطاقات:

¹ - الجنبيهي ممدوح: جرائم الأنترنت والحاسب الآلي ووسائل مكافحتها، دار الفكر الجامعي، مصر، 2004، ص 13.

وهي العملية الشائعة والتي باتت سهلة وتشهد تزايداً مستمراً، ناهيك عما آلت إليه لدى البعض من إستخدامها في الإبتزاز من أجل إسترجاع تلك الأرقام، مما جعل البعض من الضحايا لمثل هذه الجرائم الرضوخ لطلبات المجرم من أجل عدم نشرها، أو من أجل عدم إستخدامها والإضرار بالضحية.

ثالثاً: غسيل الأموال عبر البطاقات البنكية:

وهي عملية كثيرة الإنتشار بين عصابات المال والأعمال وحتى عند بعض رجال السياسة والدين وتجار المخدرات، وهي عملية مفادها تحويل المال الفاسد الذي يكون مصدره مجهول أو غير مشروع إلى مشاريع مشروعة وذلك عبر ضخ مبالغ كبيرة عبر دفعات من الصراف الآلي من بلد أجنبي ثم يقوم فرع المصرف الذي سحب المبلغ بطلب تحويل المبلغ من الفرع الذي أصدر البطاقة، فتتم العملية المالية عبر التحويل بخصم المبلغ من رصيد العميل الذي عليه شبهة الفساد أو التهرب أو العمل المشبوه، ويكون بهذه العملية قد إستطاع أن يغسل تلك الأموال المشبوهة¹.

وخاصة في ظل الظروف الإستثنائية التي تفرضها جائحة كورونا أين أصبحت هذه الطريقة الإلكترونية أكثر إستخداماً في غسل الأموال المشبوهة، وأسهل إستخداماً في التعامل مع البنوك من خلال إيداع الأموال المشبوهة في حسابات متعددة للبنوك، ثم يتم تحويلها لعدة فروع في بلدان مختلفة.

المطلب الثاني

المخاطر وسبل محاربتها

¹ - بدوي مصطفى: غسيل الأموال الإلكتروني، مجلة آفاق، العدد 05، الجمعية العلمية الثقافية، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير، جامعة البليدة، سبتمبر 2005، ص 61.

هناك بعض المخاطر التي تهدد نجاح التجارة الإلكترونية عبر العالم، لا بد من كشفها وتوضيحها وبيان سبل محاربتها والحد منها إن لم نقل التمكن من القضاء عليها لأنه بات من المستحيل القضاء عليها لأنها في تطور مستمر، ولكن السعي إلى الحد منها ومن إنتشارها يعد في حد ذاته مكسبا مهما.

أولاً: المخاطر المعيقة للتجارة الإلكترونية:

تتلخص مجمل المخاطر التي تعيق تقدم نشاط التجارة الإلكترونية في مخاطر تنظيمية وأخرى قانونية نلخصها في الآتي:

تتعلق المخاطر التنظيمية بعلاقة البنوك الإلكترونية بالبنك المركزي، حيث بات من الصعب جدا مراقبة الكتلة النقدية الإلكترونية، إضافة إلى تنوع أشكال النقود الصادرة عن المؤسسات المصرفية مما يمنع الرقابة عليها من الناحية التنظيمية¹.

وهو الأمر الذي أدى خلى المزيد من التهرب الضريبي وتهريب الأموال من وإلى خارج الوطن مما أدى بدوره إلى ضعف التحصيل الضريبي للبلد.

أما المخاطر القانونية فهي لا تقل خطورة عن المخاطر التنظيمية، نظرا لسرية المعاملات المصرفية الإلكترونية التي زادت من درجة المخاطر القانونية، وصعوبة تتبع الجرائم المتزايدة في هذا المجال ومنه إفلات العديد من المجرمين من العقاب القانوني لهم، وظلت جرائمهم جرائم بدون عقاب، فالإفلات من سلطة القانون هو بحد ذاته أكبر المخاطر على الإطلاق.

لقد نجم عن هذا الوضع تهديدات أمنية عديدة تأتي من الداخل أو من الخارج، مما يؤدي إلى فقدان الثقة بالمعاملات الإلكترونية وفشل التجارة الإلكترونية في الحفاظ على

¹ - عيد المطلب عبد الحميد: العولمة وإقتصاديات البنوك، الدار الجامعية، مصر، 2003، ص 261.

مكتسبات التطور الذي حققته من خلال تزايد أرباح مستخدميها من جراء تضاعف عملائها بسبب الوضع الذي فرضته جائحة كورونا.

ثانيا: سبل محاربة مخاطر التجارة الإلكترونية:

لقد سعت كل دول العالم في محاربة مخاطر التجارة الإلكترونية، من خلال سن قوانين خاصة بالتجارة الإلكترونية، والجزائر شأنها في ذلك شأن باقي دول العالم إجتهدت في سن قانون متعلق بالتجارة الإلكترونية، وهو القانون: 18-05 المؤرخ في: 2018/05/10.¹

حيث ضبط قانون التجارة الإلكترونية الجزائري القواعد العامة المتعلقة بالتجارة الإلكترونية للسلع والخدمات، وحصر أطراف العقد الإلكتروني، وعرف التجارة الإلكترونية على عكس الدول العربية التي لم تعرف التجارة الإلكترونية بل إكتفت بالإشارة إلى أهدافها فحسب.

كما عرفت العقد الإلكتروني، والمستهلك الإلكتروني، والمورد الإلكتروني، ووسيلة الدفع الإلكتروني، والإشهار الإلكتروني، والطلبية المسبقة، وإسم النطاق.

كما خصص المشرع الجزائري بابا خاصا بممارسات التجارة الإلكترونية، والتي عالجت عدت مسائل قانونية بغية ضبطها ومنع التجاوزات فيها، وهي تخص المعاملات التجارية العابرة للحدود وحددت كذلك شروط ممارسة التجارة الإلكترونية، وكذا ضبط المتطلبات المتعلقة بالمعاملات التجارية عن طريق الإتصال الإلكتروني.

¹ - الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، رقم 28، مؤرخة في: 2018/05/16.

ولضبط السوق الإلكترونية أكثر وضع المشرع من خلال قانون 05/18 إلتزامات المستهلك الإلكتروني من جهة وواجبات المورد الإلكتروني ومسؤولياته من جهة أخرى، كما حدد أساليب الدفع الإلكتروني ووضع شروطا للإشهار الإلكتروني بغية وقاية المستهلك من الإشهارات الإلكترونية المزيفة.

وتعود الأهمية البالغة في سن قانون للتجارة الإلكترونية في الجزائر إلى الباب الثالث والأخير منه المخصص للجرائم والعقوبات في مجال التجارة الإلكترونية، بغية محاربة كافة أنواع الجريمة الإلكترونية ولحماية المواطنين من شتى أنواع التحايل، والتصدي للجرائم بعقوبات مختلفة توصف بكونها مخالفات تواجه بغرامات مالية متفاوتة وأخرى بالمنع من النشاط، إلى درجة وصف بعضها بالجنحية التي تحال على قاضي الجرح وتأخذ الوصف الجنائي المقرر قانونا لها وشملها بالعقوبة التي قد تصل أحيانا إلى عقوبات سالبة للحرية.¹

خاتمة:

من خلال الدراسة المتواضعة لظاهرة تأثير الفيروس المستجد كوفيد-19 على التجارة الإلكترونية ولما لهذا الموضوع من الأهمية كونه موضوع الساعة، حاولنا أن نسهم ولو بالقليل في توضيح مظاهر التأثير الإيجابي الذي أحدثته الجائحة الوبائية من جانبها الإيجابي الذي تحقق على مستوى نشاط التجارة الإلكترونية خاصة بعدما تزايد عدد عملائها بشكل كبير وكثرة الإستخدامات والإعتماد عليها لدى جل الأسر عبر العالم، لذلك حاولنا إظهار مزايا الجائحة التي عادت على مستخدمي التجارة الإلكترونية بأرباح خيالية لم يكن يتوقع حدوثها لولا ظهور الأزمة الصحية العالمية.

¹ - احسن بوسقيعة: الوجيز في شرح القانون الجزائري الخاص، والجرائم ضد الأشخاص، الجرائم ضد الأموال، طبعة 9، دار هومه، الجزء 1، الجزائر، 2008، ص 259.

إن كثرة الإقبال على خدمات التجارة الإلكترونية والذي دفعت إليه الظروف الوبائية أدى إلى تفشي ظاهرة الجرائم الإلكترونية بشكل كبير وملفت للإنتباه مما جعلنا نسلط الضوء على أنواع هذه الجرائم الإلكترونية وكذا المخاطر المحدقة بالمستهلك الإلكتروني وهو الأمر الذي أصبح مصدر قلق بالغ لدى كل دول العالم.

إن الجهود التي تبذلها الجزائر في سبيل محاربة كل أنواع الجريمة وخاصة منها الجريمة الإلكترونية جهودا تستحق الإشادة بها فعلا، غير أن هذه الظاهرة تحتاج إلى مزيد من القوانين ومزيد من الصرامة في التطبيق، دون أن نغفل عن أهمية الجانب الرقابي لما للسلطات الرقابية من أهمية بالغة في التصدي لمثل هذه الجرائم قصد حماية المواطن البسيط وكذا حماية الإقتصاد الوطني.

وفي الأخير نوصي بضرورة سن قانون تكميلي لقانون 05/18 المتعلق بالتجارة الإلكترونية قد سد الثغرات الموجودة في العديد من أحكامه، وإجلاء الغموض عن بعض المواد القانونية فيه.

كما نقترح سن قانون عربي موحد للتجارة الإلكترونية بين الدول العربية لتوحيد الرؤية بين هاته الدول والتنسيق بينها بغرض إنجاح الرقابة على الكتلة النقدية لدى كل دولة والتعاون فيما بينها لمنع حركة غسل الأموال المشبوهة.

وفي الختام نسأل المولى عز وجل أن يرفع عنا هذا الوباء عن كل سكان المعمورة، على أمل أن نكون قد إستفدنا من دروس الحياة القاسية التي قد تضعنا في منعرج خطير أحيانا قد يغير من أساليب حياتنا العادية جذريا كما فعلت جائحة كورونا في تغيير حياتنا وجعلتها أكثر تعقيدا.